مـــــــدن مـقـــدســـــة

كـــربـــلاء.. الـــشـــهـــادة وشـــمـــوخ الـــتـــاريـــخ

إعداد/ كاظم الجماسي

لم تكن كربلاء في العهد القديم قبل الفتح الإسلامي بلدة تستحق الذكر ، ولم يرد ذكرها في التاريخ إلاّ نادراً ، وأكثر ذلك في عرض الكلام عما كان يقع في الحيرة وقرية الطف من الوقائع . بل كانت هي قرية بسيطة عليها مزارع وضياع لدهاقين الفرس ، وكان سكانها أهل حراثة وزراعة .

وأورد عند ذكر الكوفة عن السبب الذي بعث على اتخاذ موقعها معسكراً ، قال : على أثر الفشل الذي مني به القائد الاعلى سعد بن أبي وقاص والموفقية التي حازها خالد بن عرفطة في فتح ساباط أولا ، ثم استتبعه فتح بقية المدائن عاصمة الدولة الساسانية ، وتكلل فوز المسلمين بأكاليل النصر ، وتم لهم الغلبة ، أرغم يزدجرد الملك بالانسحاب والتقهقر مقهورا الى اصطخر ، فارس ، عطفوا عندها باتخاذ قاعدة تكون معسكرا لهم على تخوم الجزيرة ، فاختاروا كربلاء ولتمنع ساكنيها من التسليم والخضوع لارادتهم قصدهم خالد بن عرفطة وفتح كربلاء عنوة وسبى أهلها ، وقسم سعد أرباضها بين أصحابه ، ونزل كل قوم في الناحية التي خرج سهمه بها ، فأحيوها .

فلا طلاق لفظ كربلا على مدن عامرة عند الفتح ، لابد من أن يكون جاهلي الأصل وبزعم مجوس دور الفهلوية ومعتقدهم كان بيت نار ، على ما ذكره مؤلف (دبستان المذاهب) يطلقون لفظة بـ (كار بالا) ومعناه : الفعل العلوي ، فعرب بكربلاء .

ولم يعد يحدثنا التأريخ عن كربلاء، الا بعد مرور ربع قرن من الزمان ولكن هذه المرة بحديث ذي شجون عن أعظم مأساة في تأريخ البشرية . ألا وهي الحادثة الشهيرة بواقعة الطف أو يوم عاشوراء في يوم الجمعة العاشر من محرم الحرام لسنة ٦١ هجرية التي استشهد فيها سبط الرسول وحبيب البتول الامام الحسين بن علي سلام الله عليهما وجمع من أصحابه رضوان أالله عليهم، هذا ولم تكن كربلاء عامرة يوم ورود الحسين.ع.لها وهو على ظهر جواده على شفير ذلك الوادي الا بعض قرى تحف أطرافها كشفيه والغاضريات ونينوى وماريه، والعقر التي بقيت آخر أثر للبابليين لا يزال قائماً .

ومن ذلك الحين ذاع صيت هذه الأفاق وانتشر في الأقطار . وقد جاء ذكرها في أشعار العرب ودواوينهم.

ومع هذا لم تكن كربلاء في القرن الأول الهجري عامرة ، مع ما كان في أنفس الهاشميين وشيعتهم من شوق ولهفة في مجاورة قبر سيد الشهداء لم يتمكنوا من اتخاذ الدور واقامة العمران خوفا من سلطان بني أمية .

وقد أخذت بالتقدم في أوائل الدولة العباسية ، ورجعت القهقري في أيام الرشيد. وقد ازداد خرابها في أيام المتوكل لأنه هدم قبر الحسين (ع) فرحل عنها سكانها .

ثم أخذ الشيعة في أيام المنتصر يتوافدون الى كربلاء ويعمرونها . (وكان أول علوي سكنها هو تاج الدين ابراهيم المجاب حفيد الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، وقد وردها في حدود سنة ٢٤٧ هجرية).

واتخذت الدور عند رمسه ، وقامت القصور والأسواق حوله ولم يمض قرن أو بعض قرن ، الا وحول قبره الشريف مدينة صغيرة بها ألاف النفوس .

وطوال الحقب التاريخية المختلفة، عانت كربلاء الكثير من الويلات المتأتية من الحكام المستبدين، والحروب الطاحنة، وقد هدمت ابنيتها وتساوت بالأرض مرات عدة، وفني أهلها كذلك، ولكنها كانت تعود كل مرة من جديد بحلة أخرى. حتى مجيء الاحتلال الانجليزي، حيث استولوا على مركزها شأنها شأن المدن العراقية الأخرى.

وفي سنة ١٩٢٠ م ثارت البلاد بثورتها الدامية المعروفة وخاصة جهة الفرات فيها ، كان أول ما اندلع لسان الثورة من كربلاء. وكان يوم ورود الشعرات الشريفة الى كربلاء من الأيام المشهورة إذ هرع الأهلون رجالاً ونساء حتى الأطفال للاستقبال واحتفلوا به أشد واعظم احتفال ، لم يشاهد مثله حتى أوصلوه إلى الحفرة الشريفة ووضعوه في محله .

وتأخذ كربلاء قداستها من احتوائها على أضرحة الإمام الحسين بن علي وأخيه أبي الفضل العباس وعدد من أبناء الحسين وأبناء عمومته وصحبه ممن استشهد معه في واقعة الطف الشهيرة، عليهم السلام أجمعين. ولذا فهي تشكل اليوم واحدا من المراكز الدينية والعلمية والثقافية البارزة ليس بالنسبة للعراقيين وحدهم بل لمختلف شعوب العالم الإسلامي في كل بقاع الأرض.

مـطـاعـم شـعـبـيـة شـهـيـرة

إعداد / المدى

× كبة السراي وهي كبة محشية بالالية واللوز ويفضل البغداديون تناولها عند الفطور وموقع المطعم موجود عند مدخل سوق السراي (أشهر سوق للوراقين في بغداد) ، ويعتقد ان تاريخ اول افتتاح للمطعم سنة١٩٣٣ ،ومن أشهر الشخصيات التي كانت تتناول كبة السراي نوري السعيد (رئيس الوزراء) في العهد الملكي، وايضا فيصل الأول (ملك العراق)، وعبد الإله (الوصي على عرش العراق) وعامة الشعب والمطعم ما زال موجودا في نفس المكان المذكور أعلاه.

×شربت زبيب حاج زبالة العريق، وسندويشات (جبن العرب) التي يفضل البغداديون تناولها في وقت الفطور غالبا، وأول موقع له كان في مدخل جسر الشهداء ثم انتقل منه إلى شارع الرشيد مقابل جامع الحيدر خانة في محلة الحيدر خانة، وكان أول افتتاح له في العام(١٩١٤) ومن زبائنه الدائميين الملك غازي وزوجته الملكة عالية والدة الملك فيصل الثاني وكانت ترسل سائقها ليشتري لها الشربت من المحل المذكور. ومن ثم رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم في العهد الجمهوري والرئيس عبد السلام محمد عارف وكبار ضباط وزارة الدفاع آنذاك. وعامة الناس، ومازال (شربت زبيب الحاج زباله) مشرعا ابوابه في شارع الرشيد.

× مطعم ابن طوبان، الذي يقدم وجبات الباجة البغدادية المشهورة أو تشريب الباجة، وللمطعم أكثر من فرع، أشهرها باجة حجي رشيد ابن طوبان الواقعة قرب مقبرة الشيخ معروف (في جانب الكرخ)، ويتناولها البغداديون في كل الأوقات، وخاصة الذين يعملون في مهن تتطلب القوة البدنية كالحدادة والبناء لما تحويه من مواد دهنية.

× عدة مطاعم للسمك المسكوف وهو السمك المشوي على الطريقة البغدادية المحببة وعادة ما يتناوله البغداديون كوجبة غداء أو عشاء، وتنتشر تلك المطاعم على طول كورنيش شارع أبي نواس على شاطئ نهر دجلة، حيث تتجمع العائلات العراقية للتنزه وقضاء اوقات الفراغ، (يؤكد صاحب أشهر مطعم للمسكوف (أيوب العبيدي) (٧٥ عاما) بأن أفضل الأسماك للشواء هي الشبوط والكطان والبني الذي يتم صيده مباشرة من قبل صيادي منطقة الكرادة القريبة من شارع أبي نواس).

× قدوري أبو الباجلا ،حمادة أبو الباجلا، علو أبو الباجلا وهي عدة مطاعم صغيرة تقدم الأكلة البغدادية المعروفة بتشريب أو ثريد الباجلا بالدهن الحر، وعادة ما يجري تناولها كوجبة افطار شهية، وتنتشر مواقعها في أماكن متفرقة من بغداد منها شارع أبي نواس قرب جسر الجمهورية وجانب الكرخ قرب ساحة الشهداء، وكراج العلاوي، وكراج النهضة في صوب الرصافة، وأنحاء أخرى من بغداد. ومكوناتها تشتمل على ثريد الباجلا المقشرة والمغطاة بالبيض المقلي بالدهن الحر وشرائح الطماطم وصحن من قطع النارنج الذي يعصر فوق صحن الباجلا المغطى بالبطنج والبصل والطرشي، يليها استكان الشاي السنكين (الغامق) والمهيل المخدر على الفحم. والف عافية..

العادات الرمضانية التركمانية

بغداد / المدى

من افضل التقاليد والعادات الشعبية الرمضانية عند التركمان والتي يفتقر اليها مجتمعنا في الوقت الحاضر هو تبادل وجبات الطعام المعدة للافطار على جميع الجيران حتى تتجاوز الجار السابع لتمتلئ المائدة باكثر من صنف في وقت واحد بجهد اقل وماتحققه هذه الممارسة من تناغم وتجانس بين مختلف الاطياف التي تكون موجودة في شارع واحدومن الاكلات المشهورة في المطبخ التركماني الرمضاني هي (التكمة)

المقادير :

ربع كيلولحم عجل مثروم
بصلتان من النوع الحار
حبتان من الفلفل الاخضر
حبة طماطة واحدة
ثلاثة فصوص من الثوم
ثلاثة اكواب من الرز ويفضل العنبر
معلقة شاي فلفل اسود
نصف معلقة شاي فلفل ابيض
ملعقة شاي ملح
نصف ملعقة شاي كبابة
ثلاثة ملاعق طعام معجون طماطة
ملعقتان من الليمون دوزي
باقة من المعدنوس او الكرفس

الاغلفة :

اربع حبات من الباذنجان
اربع حبات من الشجر
ثلاث حبات من الفلفل الاخضر
ابرة وخيط لخياطة الاغلفة

ملاحظة : تجهز الاغلفة النباتية بتقطيعها الى نصفين وبمحفارة خاصة نحفر داخلها وتوضع في صحن كبير وتعرض لاشعة الشمس لمدة نصف ساعة حتى تصبح طرية لتسهيل عملية الحشو .

طريقة عمل الحشوة :

ينقع الرز لمدة خمس عشرة دقيقة ويفرم البصل والفلفل والطماطة والثوم ويضاف الى الرز وتضاف البهارات ومعجون الطماطة ثم يضاف الملح والزيت النباتي والليمون دوزي والمعدنوس المفروم بنعومة .

طريقة العمل :

تحشى الاغلفة بالحشوة وتخيط اطرافها المفتوحة بالابرة والخيط وترص في قدر عميق وتعمل صلصة حمراء من معجون الطماطة والملح والماء وتوضع فوق الاغلفة المحشوة وتترك على النار ساعة كاملة حتى تنضج وتسكب في صحن عميق والف عافية

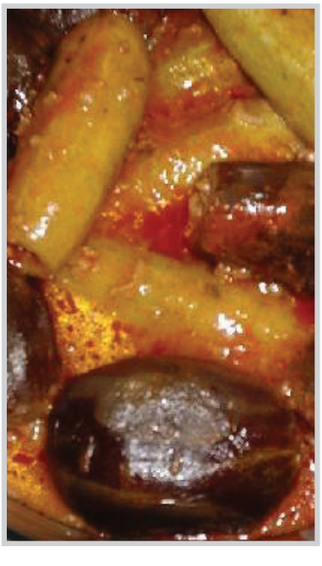

الـقـصـخـــون

أنور عبد العزيز
كاتب وباحث

يتألف اسم القصخون من كلمتين: (القصة) وتعني الحكاية و (خون) هو راوي القصة والمحترف لهذا الفن.. كانت له ولقرون ، الهيمنة والتأثير وخلق المتعة لدى المستمعين وطوال فترات الحكم العثماني واستمر الحال بسماع القصخون في فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩١٨ ثم مع الحكم الملكي ١٩٢١ وما سمي بالاستقلال، ويذكر الأجداد والآباء والعارفون ان عشرينيات القرن الماضي شهدت قمة ازدهار هذا الفن الشعبي الذي استمر حتى الأربعينيات، ثم أخذ يخبو وينحسر مع نهاية الأربعينيات، وكان سائدا في مدن العراق اغلبها، ومنها الموصل. والذي ساعد وشجع في انتشاره وازدهاره هو غياب وسائل المتع واللهو المرئية والمسموعة، فلا راديو ولا سينما ولا تلفزيون ولا حاك (غرامافون) وحتى هذا الأخير وبعده الراديو، كان في الثلاثينيات وحتى الأربعينيات من المقتنيات النادرة عند بعض الاسر الثرية القليلة، والإنسان اذا حُرم من متعة النظر وتحمل ذلك، فهو لا يمكن ان يستغني عن متعة السماع، فما العمل؟ كانت الموصل – شأنها شأن مدن العراق معظمها- صغيرة محدودة الأبعاد بمحلاتها العتيقة وازقتها الضيقة غير المبلطة.. أزقة ودروب موحلة- لاسيما في الشتاء – والمدينة مظلمة ليلاً الأمن فوانيس شاحبة الضوء علقتها (البلدية) في رؤوس بعض الطرقات والدروب، واذا كان الصيف متنفسا للحركة والخروج الى مقاهي المدينة من اجل خلق المتعة لدى ابنائها – وفي مركزها خاصة- فإنّ الشتاء ببرده وزمهريره كان عائقا للشيوخ وكبار السن لاسيما في الليالي المعتمة المتجمدة، لذا فرضت الحاجة صفة (قارئ) او (راوية) فقط، بل كان يضيف بتلاوين (حكايته) مشاهد تمثيلية بسيطة فقد كان متمرساً في تلوين (الاصوات)، بين عالية هادرة غاضبة حينما تحتدم بين المقاتلين صرخات الحرب، او واطئة هادئة حزينة حينما تعبر عن مشاعر الحب والغزل وبعذوبة وحنان ابيات شعر اللوعة والحنين كما يستوجب الدور للمثل، وكما تتطلب الحالة النفسية لأبطال (الحكايات)، فالقصخون كان فناناً واعياً إن (الوتيرة الواحدة) و (النغمات المتشابهة) في الشعر المُغنى و (الجمود في الالقاء) ستسبب الملل والضجر عند الجمهور. كانت (العنترية) وكتبها منبعاً ثراً وعيناً مدرارة يستقي منها القصخون، وكان منهم من هو (متخصص) بها لا يتجاوزها- طوال عمره- لأيّ حكايات اخرى ، وكان آخرون لا يقيدون انفسهم (بالعنترية) فقط، بل يتجاوزونها لآفاق حكائية ارحب تنهل من مثل (ألف ليلة وليلة) ومن قصص العشق (كالمياسة والمقداد و (قيس بن الملوح العامري المجنون بحب ليلى العامرية ابنة عمه) وحكاية (مريم الزنارية) و (تودد الجارية) واقاصيص الجواري والقيان والمغنين والحمالين والجن والطيور والحيوانات المسحورة والقصور التي هي في اعماق البحار وبطلها (السندباد البحري)، وهم لم يكتفوا بذلك البحري فخلقوا (السندباد البري) ثم قصص الشطار واللصوص وافاعيل المردة مع خاتم سليمان المسحور، ومنهم من كان خياله انشط فينقل لمستمعيه مطولات من (السيرة الهلالية وبطلها الشجاع (ابو زيد الهلالي)، ومنهم من منح من لياليه وسهراته حصة كبيرة لذلك القائد الخالد (صلاح الدين الايوبي) الذي استعاد بيت المقدس بصدقه وشجاعته وقيمه النبيلة وبصلابة مقاتليه وايمان المحيطين به بقيادته وحكمته في مواجهة اقسى الشدائد ...واذا كانت القلة النادرة من هؤلاء (القصخونية) من أشرك فناً آخر في عمله وهو (قراءة المقام) فإنّ الغالبية لم تكن تفعل ذلك (فللمقام) خصوصية مقاهيه وجمهوره ومغنوه.. كان من هؤلاء (القصخونية) من بالغ بمسيرة وسيرة عنترة وقصة حبه الشهيرة مع عبلة، مع ذكر لمخاوف اخيه الابله (شيبوب)، وما جرى له مع الاعداء ومع (محنته) في هيامه بعبلة، وكان القصخون يزيد من عنديات بالرغم من ان الرواة وتلفيقاتهم – عبر العصور- واشهرهم خلف الاحمر وحماد الراوية قد حملّت هذا الشاعر اكثر مما يحتمل، فهو – وكما يذكر المؤرخون الثقاة وكتب التاريخ المعتمدة والمراجع- لم يكن اكثر من شاعر، حتى انه كان (مُقلاً) في شعره وليس من المكثرين، ومن قصائده الشهيرة (المعلقة) ثم عدد من القصائد في الحب والفخر والشجاعة والشهامة، وقصته – ببساطة معروفة فلأنه كان (عبداً وأبن أمة) ولأنه غرابي (اسود اللون) فقد عانى الكثير من عنصرية عمه وعشيرته ونال الكثير من الاحباط في حبه لعبلة، بعد ان رفضته العشيرة ورأت في هذا الحب والتشبث بعبلة خروجا على المألوف، لذا فقد وقف عمه مانعاً صلباً لتحقيق أمل الزواج بمن يحب، وبالرغم من هذا (الرفض) الا ان (شهامة) عنترة كانت تدفعه دائما للدفاع عن (القبيلة) ضد أي غزو او اعتداء يقع عليها . كان الجمهور اكثر ما يتفاعل مع حكايات عنترة وغزواته ومعاركه وايام احتدام هجماته على أحياء العرب، او صده لهجمات المغيرين المعتدين، وقد عدّه بعض مؤرخي الادب من (اغرب العرب) لسواد لونه فأضافوا اسمه لمجموعة من الشعراء الصعاليك امثال السليك بن سلكة وطرفة بن البعد والشنفري وتأبط شرا (واسمه ثابت بن جابر بن سفيان) وكانوا يطلقون عليهم اسم (الخلعاء او المخلوعين) فحينما كانت تزداد شرورهم وهجماتهم على احياء العرب والتصدي لقوافل اغنياء التجار، مع سكرهم وتهتكهم واستباحتهم لدماء كثيرة، تقوم قبائلهم وعلى رؤوس الاشهاد بالاعلان عن (خلعهم) عن القبيلة، أي انها لم تعد مسؤولة عن حياتهم ولا تطالب بالثأر لهم عند مقتلهم، اما هؤلاء الشعراء فكانوا يرون في انفسهم حماة للضعفاء والفقراء والمضطهدين ضد ظلم الاسياد والمستبدين والظالمين، وانهم كانوا يوزعون ما يحصلون عليه من الاموال والغنائم بين العجزة والارامل والايتام ومهدوري الحقوق، وانهم كانوا يعطون كل ما يغنمون للمحتاجين ولا يحتفظون لانفسهم بشيء فلهم لهوهم وتشردهم ولياليهم المترعة بالخمر جماعات جماعات وفي تجوالهم في أودية الرمال والفيافي والقفار يعيشون ايامهم ولياليهم معزولين عن مجتمعهم مع وحوش الصحراء وحيوانات القفر بانتظار الاغارة على هذا الحي او ذاك..